دراسة مقارنة لاثر تربية الملجأ وتربية الأسرة على النمو اللغوي لعينة من الأطفال الجزائريين

الأستاذة نادية بعيبع
جامعة باتنة

مما لاشك فيه أن التعرف على خصائص النمو، يزود الباحث السيكولوجي بمعلومات هامة، تمكنه من الوقوف على مراحل النمو والعوامل التي تؤثر في سرعته أو بطئه فالنمو ظاهرة حيوية لكل الكائنات الحية، وله قوانينه التي تحكمها مجموعة من الظروف الداخلية ومجموعة اخرى من الظرفو الخارجية التي تحيط بالكائن الحي. والمقصود بالاولى عوامل النضج والوراثة وهي عوامل فطرية، ويقصد بالثانية مجموعة عوامل التدريب والاكتساب. وهذه عوامل تتعلق بالبيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والتربوية وغير ذلك مما يحيط بالفرد ويتفاعل معه.

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أحد جوانب النمو وهو النمو اللغوي، وذلك باجراء دراسة مقارنة بين مجموعيتن من الأطفال تمثل المجموعة الاولى أطفالا تربوا في بيئة اسرية طبيعية، والمجموعة الثانية تمثل أطفالا تربوا في الملاجيء أو ما يعرف بمؤسسات الايواء أو دور الطفولة المسعفة.

وتتعرض الدراسة الحالية إلى مجموعة من العوامل التي تتدخل بشكل مباشرة أو غير مباشر في عملية اكتساب ونمو اللغة، والتي يمكنها أن تتحكم في ثراء أو فقر الرصيد اللغوي للطفل، ولقد أثبتت مجموعة كبيرة من الدراسات، إن هناك العديد من العوامل

المتداخلة في هذه العملية، كالصحة النفسية والجسمية للطفل، هذا بالاضافة إلى ظروف البيئة التي تربى فيها، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي عاش فيه، وكلها قوى تؤثر تأثيرا بالغا في اكتساب المهارات اللفظية السليمة.

كما تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على بعض صور هذه الظاهرة في العالم العربي بشكل عام، وفي الجزائر بشكل خاص، حيث تضيف ابعادا جديدة للبحوث العربية في هذا المجال.

ومن جانب آخر توضح لنا هذه الدراسة بأسلوب مختلف اهمية الرعاية الاسرية في حياة الفرد، وهي بذلك تزيد من التأكيد بأن الاسرة تقوم بدور أساسي في تكوين شخصية الطفل الذي تعتبر اعوامه الأولى بداية لمحددات سلوكه فيما بعد.

كما تمدنا هذه الدراسة بمعلومات خاصة بالحياة داخل الملاجىء أو مؤسسات الايواء، والخدمات التي تقدمها بصفة عامة، تمكننا من تقييم ولو جزئيا الرعاية المقدمة من طرف المختصين في مؤسسات الإيواء بالجزائر، والوقوف على بعض الاخطاء أثناء عملية التربية والتنشئة الاجتماعية التي تؤثر سلبا على مظاهر النمو بشكل عام.

ولقد أجمعت الدراسات السابقة على أن الوالدين يشكلان محورا أساسيا في تربية الطفل داخل الاسرة ومن هنا نجد أن شخصية الطفل تمثل انعكاسا لواقع البيئة الاجتماعية والاسرية التي يعيش فيها، ومدى تأثره بالرعاية والامن والعطف والحب ايجابا وسلبا. فإذا نشأ الطفل في غير هذه البيئة الطبيعية للأسرة فقد ينعكس هذا الحرمان على صحته النفسية فيعوق مظاهر نموه، أي أن الاسرة هي المجال الاجتماعي الاول للطفل، وأن للعقالات العائلية تأثيرا مباشرا على نمو الطفل، أما نموا طبيعيا أو نموا مرضيا.

مشكلة الدراسة:

تتناول الدراسة الحالية مشكلة نفسية تربوية، تتمثل في التعرف على مدى تأثير تربية الاسرة وتربية الملجأ على النمو اللغوي، لعينه من أطفال جزائريين يدرسون في المرحلة الاولى من التعليم الاساسي. ولمرحلة الطفولة أهمية بالغة في مجال البحث

السيكولوجي والتربوي، لما لهذهالفترة من تأثير مباشر على حياة الفرد فيما بعد، ولهذا نجد أن مدرسة التحليل النفسي بزعامة رائدها فرويد Freud تؤكد على أن الخمس سنوات الاولى من عمر الطفل هي التي تكوّن نواة شخصيته، وتؤكد أيضا على أهمية معاملة الطفل في هذه المرحلة بكثير من الحب والعطف، بمعنى أن سلوك الفرد الناضج الراشد ماهو إلا امتداد لخبرات الطفولة المبكرة (11ص76) وإذا نظرنا إلي اللغة نجد أنها احد جوانب هذا السلوك، حيث تتأثر بعوامل تكوينية وبيئة، وقديا قال ارسطو بأن الانسان حيوان نطاق. والواقع أن أهم ما يميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية يتمثل في اللغة التي هي أساس الاتصال في الحضارة الإنسانية. فبفضلها نفكر ونشعر نحكم على الامور وبها تنقل خبرات الاجيال واحلامها وحكمتها من جيل لآخر. ويتحول الانسان من كائن بيولوجي محدود العمر إلى الانسان الشخصي التاريخي. (17ص).

إن من أهم العوامل التي توثر في عملية اكتساب اللغة ونموها بالرجة الاولى، هي التنشئة الاسرية السوية، فكلما ساد جو من الاستقرار العاطفي والانفعالي بالاسرة . تأثرت ايجابيا عملية اكتساب اللغة. فالاسئلة التي يسألها الطفل مثلا والاجابة عنها لها وظيفة سيكولوجية هامة ذات وجهات ثلاث: تعبيرية، معرفية وأخيرا سلوكية، ولهذا نجد الأطفال الذين حرمتهم الظروف من العيش مع اسرهم، معرضون لبيئة صامتة في الغالب، خالية من المثيرات اللغوية وانواع التعزيز والدعاية المباشرة يعانون من اضطرابات هامة في نموهم ومنها الاضطراب في نموهم اللغوي. (12ص113).

وبناء على كل هذا تفترض الدراسة الحالية ارتفاع معدلات النمو اللغوي لدى الاطفال الذين تربوا مع اسرهم، في حين تنخفض معدلات النمو اللغوي لدى الاطفال الذين تربوا في الملجأ.

فروض الدراسة:

تفترض الدراسة الحالية ما يلي:

1 ـ توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الاطفال الذين تربوا مع اسرهم والاطفال الذين تربوا في الملجأ بالنسبة لنموهم اللغوي.

2 ـ توجد فروقا دالة إحصائيا بين الذكور والاناث سواء تربوا مع اسرهم أو تربوا في الملجأ فيما يتعلق بنموهم اللغوي.

3 ـ توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الاطفال الذين دخلوا الملجأ في سن مبكرة (0 ـ 5 سنوات) والاطفال الذين دخلوا الملجأ في سن متأخرة (5سنوات فما فوق) فيما يخص نموهم اللغوي.

اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على:

1 ـ مدى تأثير التربية الاسرية والتربية البديلة التي تقدمها مؤسسات الايواء على النمو اللغوي.

2 ـ معرفة ماإذا كان لعامل الجنس أثر على النمو اللغوي أم لا.

3 ـ معرفة ما إذا كان الالتحاق المبكر بمؤسسات الايواء أو الالتحاق المتأخر بها يعيق أو يساعد على النمو اللغوي.

تحديد مصطلحات الدراسة:

1 ـ تربية الأسرة:

ويقصد بالاسرة في هذه الدراسة الاسرة الطبيعية التي تتكون من أب وأم وإخوة في الغالب، يعني عائلة لا تعاني من أي نوع من أنواع التفكك الاسري بسبب الطلاق أو وفاة احد الأبوين.

أما فيما يتعلق بالمستويات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية للأسرة فقد استبعدت لعدم التمكن من ضبط هذه المستويات في مجموعة اطفال الملاجيء بالدراسة.

ومن المعروف أن للأسرة وظائف اقتصادية واجتماعية ونفسية، فهي أولى الاوساط الاجتماعية التي يتربى فيها الطفل، فتشبع لديه حاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والتربية داخل الاسرة يقصد بها وظائف المربي التقليدية كانتقاء أحسن الطرق للتعامل مع الطفل في مراحل نموه الأولى، أو بمعنى آخر توفير الوسط الجيد الذي ينمو فيه، ويصبح هذا حتى وإن اختلفت الثقافات مساعدة للطفل على التكيف مع الحياة وعلى تنمية قدراته ومواهبه وتشبعه بالعادات والتقاليد التي تفضلها الاسرة، وهذه خصائص لا تظهر بنفس الوضوح في أي علاقة اجتماعية أخرى.

2 ـ تربية الملجأ:

عندما يشار إلى تربية الملجأ في هذهالدراسة، فإن المقصود بها هو الرعاية البديلة التي تقدمها المؤسسات المتخصصة وذلك في حالة انعدام الحياة الاسرية البيولوجية للطفل، فيتكفل الملجأ بعنايته تماما. ولهذه المؤسسات مسميات متعددة كمؤسسات الإيواء، أو الملاجيء أو حياة الطفولة أو دور الطفولة المسعفة. وهو اختلاف في التسمية وليس اختلاف في الوظيفة في أغلب الاحيان.

" الملجأ إذن هو المنشأة البديلة التي توفر للطفل الرعاية التي يحتاج إليها بهدف تحقيق تنشئة سليمة، فيودع بها الطفل مجهول النسب أو اللقيط أو اليتيم أو غيره ممن لم تمكنه الظروف من العيش داخل اسرته الطبيعية، ويقوم بتقديم العناية الكاملة، فيتكفل بتربية الطفل منذ دخوله المؤسسة حتى سن السابعةوالعشرين أو بلوغ سن الزواج بالنسبة للفتاة أو الشاب"**

3 ـ النمو اللغوي:

اللغة المنطوقة أو المكتوبة أداة اتصال يتميز بها الانسان، وهي تخضع

** الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
رقم:1 ، بتاريخ 1980/3/18.

لاحكام وضوابط، وتتأثر بعوامل النضج والبيئة.

فاللغة هي مجموعة رموز تستخدم للإتصال بين أفراد المجتمع الواحد من أجل تسيير شؤون الحياة المختلفة، وقد تستخدم فيما بعد في حفظ التراث الإنساني وانما، الثقافة ونقلها إلى الاجيال، وما تقتنيه اللغة من تلك الرموز دلالة على تراثها (9.ص112) .

ويقصد بالنمو اللغوي في هذه الدراسة : الزيادة الكمية في الحصيلة اللغوية لطفل المرحلة الابتدائية: وتعني الباحثة بذلك:

1 ـ مدى ارتقاء الطفل في عدد الكلمات من اسماء وافعال وحروف وضمائر، وكيف يتعامل بها لفظا وكتابة في اللغة العربية.

2 ـ كتابة تلك الكلمات (اسماء، أفعال، ضمائر، الخ..) كتابة صحيحة، خالية من الاخطاء الاملائية أو أخطاء قواعد اللغة.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة الحالية على عينتين من الأطفال عددهم (120) طفلا من الجنسين.

وتتكون المجموعة الاولى من ذكور واناث من أطفال تربوا مع اسرهم، التحقوا بالمدارس الأساسية بمدينتي سطيف وقسنطينة، والمقيمين بالعام الدراسي (1988 ـ 1989) وتتراوح اعمارهم بين (7 و 9) سنوات وعددهم (66) طفلا.

أما المجموعة الثانية فتتكون من نزلاء الملاجىء من الذكور والاناث من الأطفال بمدينتي سطيف وقسنطينة، وهم أيضا مقيدون بالعام الدراسي (1988 ـ 1989) وتتراوح اعمارهم بين (7 ـ 9) سنوات وعددهم 54 طفلا.

وقد قسمت المجموعة الثانية إلى فئتين الأولى اطفال دخلوا الملجأ منذ الولادة والثانية أطفال دخلوا الملجأ بعد سن خمس سنوات.

والجدول التالي يوضح التوزيع النهائي لعينة الدراسة الأساسية:

الفرقة الدراسية	الأطفال الذين	الأطفال الذين	ذكور	إناث	المجموع
الصف الثاني	18	14	17	15	32
الصف الثالث	22	22	17	27	44
الصف الرابع	26	18	21	23	44
المجموع	66	54	55	65	120

الإطار النظري للدراسة:

اللغة مهارة اجتماعية مكتسبة، وكلنا عندما نولد نجد نظاما لغويا يسير عليه مجتمعنا، فنتلقاه منه بالتعلم والتقليد، تماما كما نتلقى النظم الاجتماعية الاخرى، فالكلمات تهيء للفرد حريته الخاصة، والشخص الذي لا يستطيع التعبير عن نفسه يصبح كالعبد. ذلك أن الكلام وظيفة انسانية غير غريزية فهي وظيفة ثقافية.

ويفرق دي سوسير De Sausure 1949 بين اللغة والكلام فيقول أنه واضح أن اللغة جهاز مكون من حروف واصوات وكلمات وعلاقات نحوية أما الكلام فهو تنفيذ الفرد لهذا الجهاز واستخدامه . (7 ص 100).

فاللغة إذن عملية عقلية وعضوية واجتماعية، تخص غيره الانسان دون غيره من الكائنات الحية، فهي صفة مميزة للنوع البشري.

إن الكلمات الاولى ونمو الرصيد اللغوي يظهران بين الشهر التاسع والثامن عشر لدى الطفل السوي، أما في المتوسط فينطق الطفل بكلمته الاولى في الشهر الثاني عشر بينما يتأخر الطفل المتخلف الى الشهر الثامن عشر أو أكثر، ويشير هذا التأخر إلى مشاكل عقلية لدى الطفل . (7ص112). ويكون النمو اللغوي بطيئا من حيث فهم واعادة ترديد الكلمة في المرحلة الممتدة من بداية نطق الكلمات الاولى أي من الشهر

التاسع الى منتصف أو نهاية السنة الثانية، ثم يتبع ذلك نمو سريع جدا في المرحلة التالية وهي نطق الجملة ذات الكلمتين، ولقد اكد سميث Smith في دراسة تجريبية أن عدد الكلمات المفهومة ينمو بسرعة بحيث ينتقل الطفل من عشرين كلمة في الشهر الثامن عشر إلى أكثر من ألفين وخمسمائة كلمة في سن السادسة. ونشير إلى أن عملية اكتساب اللغة ليس وقفا على مرحلة الطفولة فقط، فهي عملية تستمر مدى الحياة، فلسفة الراشد المثقف مثلا تحتوي على مائتي ألف إلى أربعمائة كلمة.

ولقد لوحظ أن الطفل يميل إلى التعميم، وتفضيل بعض الكلمات على كلمات اخرى، وبتقديم سنه تبدأ الكلمات التي ليس لها معنى في الاختفاء ، وتستمر هذه العملة حتى تصبح لغة الطفل موازية للغة الراشد.

أما براون (Brawn 1959) فإنه يرى بأنه لغة الطفل تتطور في اتجاهين هما:

1 ـ الاتجاه امن العام إلى الخاص.

2ـ الاتجاه من المحسوس إلي المجرد.

غير أن هذا التطور لا يتم في نفس الوقت، لأن الطفل مع تقدم عمره يجمع الكلمات في فئات أكثر عمومية واكثر تجريدا.

أما عن العوامل التي تؤثر على النمو اللغوي فهي كثيرة يتصل بعضها بالتكوين العصبي والنفسي والعضوي، للفرد ويتصل بعضها الآخر بالبيئة التي يحي الطفل في كنفها، فهو يخضع لعامل الذكاء والعاهات البصرية أو السمعية أو الصوتية، وعامل الجنس والذي لا يقل أهمية عن باقي العوامل الاخرى حيث تسبق الانثى الذكر في بدء نطقها للكلمة الاولى وتظل متميزة عنه في ذاكرتها اللغوية لحدما، كما جاء في دراسات عديدة لكل من شري (Cherry1975) ، ابيرت (Ebert 1975) وهاس (Hass 1978) كما يرتبط التأخر في النمو اللغوي بالمستوى الاقتصادي حيث تدل الدراسات المختلفة لكل من ايروين (Irwin 1948) وجونس وماكميلان (Jones et Macmilan 1973) ولوسي (Lycey 1974) على أن أطفال البيئات

الاجتماعية الاقتصادية الممتازة يتكلمون اسرع وبشكل أدق من أطفال البيئات الاجتماعية الادنى، وانه كلما تعددت خبرة الطفل واستع نطاق ثقافته ازداد نموه.

بالاضافة إلى عوامل اخرى نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر تأثير النمو اللغوي بالعمر الزمني للطفل، وكذلك نمط الرعاية الاسرية التي يتلقاها .. الخ.

كما قامت الباحثة بتعرضها إلي أهمية الاسرة بالنسبة للنمو العام للطفل ونموه اللغوي بالذات، والامومة السوية وأثرها على النمو اللغوي، ذلك أن الرعاية التي تحيط الاسرة طفلها بها هي السند الاكبر لنمو واكتمال كل وظائفه النفسية والجسمية، وتساعده هذه الوظائف على تكوين مكانته الخاصة في المجال الاجتماعي إلا بالنسبة للآخرين فقط ولكن بالنسبة لتقديره السوسيومتري لنفسه أيضا (2 ص 268) واما بالنسبة لتار الايداع بالملاجيء أو مؤسسات الايواء على النمو اللغوي للطفل، فإن العديد من الدراسات مثل دراسة بان داورنت (Bandaurent 1978) وكين (Keen 1979) وكلينكاف وآمي Glonkoff et Ame 1979 ، وسبالنتسن Spalinson 1981 قد اكدت على أهمية التفاعل اللفظي بين الام وطفلها والتأثير المتبادل بينهما، إذ يمكن للأم توجيه بعض المواقف مثل اللعب والتغذية لاكساب وحدات لغوية ذات خصائص معينة، في حين لا تعبأ بذلك أكفاء مربية بالملجأ.

وبينت لويس (Lewis. H. 1979) أن معظم الاطفال المحرومين كانوا يحصلون على نتائج طيبة إذا ما أختبروا باختبارات غير لفظية، وبالعكس إذا استخدمت اختبارات لفظية.

ما تعرضت الدراسة أيضا إلى التعريف بالخدمات التي يقدمها الملجأ وكذا اشكال الرعاية البديلة من قرى اطفال والتبني والاسر البديلة ... الخ.

الإطار التطبيقي للدراسة :

لدراسة هذا الموضوع قامت الباحثة بعدة اجراءات عملية نذكرها بإيجاز:

1 ـ تصميم مقياس النمو اللغوي: وذلك عن طريق اجراء تعديلات جوهرية

في الاختبار الاصلي، والذي صممه فؤاد البهي السيد سنة 1971 وكان يعرف باسم "اختبار أوائل وأواخر الكلمات". واضافة جزء ثالث يتضمن مجموعة من الصور تمثل مواقف سلوك مختلفة، يطلب من المفحوص التعبير عنها كتابيا في شكل قصة.

2 ـ اختبار عين شمس للذكاء الابتدائي: بعد أجراء التعديلات اللازمة لهذا المقياس وتقنينه على عينه من الاطفال الجزائريين، استخدم هذا الاختبار في ضبط نسبة ذكاء العينة النهائية إيمان من الباحثة بأهمية هذا العامل في النمو اللغوي للطفل. واكتفت بعينة الاطفال التي تتراوح نسبة ذكائهم بين (90 ـ 110) .

نتائج الدراسة:

1 ـ توصلت الدراسة إلى أن هناك فروق ذات دلالة احصائية عندما قورنت لغة الاطفال الذين تمتعوا بتربية الاسرة واولائك الذين خضعوا لتربية الملجأ. حيث تفوق أطفال المجموعة الأولى في مقتنياتهم اللغوية، وفي صحة استخدامها، وبذلك تحقيق الفرض الاول للدراسة والجدول التالي يوضح قيم "ت" ونسب "ف" لدلالة الفروق بين متوسطات النمو اللغوي ونوع التربية التي يتلقاها الطفل.

اختبارات "ت"	اطفال تربوا مع اسرهم	اطفال تربوا في الملجأ
الافراد	66	54
المتوسط	150.45	90.31
الانحراف المعياري	70.10	45.60
قيمة "ت"	8.12	
مستوى الدلالة	0.01	٪ 99
المتوسط العام	120.18	
التباين العام	528153	
التباين الكبير	358.383	
التباين الصغير	42112	
نسبة "ف"	057.49	
	0.01	٪ 99

2 ـ ظهرت أيضا فروق دالة احصائيا بين الذكور والاناث سواء تربوا مع اسرهم أو تربوا في الملجأ لصالح الاناث، وبذلك يتحقق القرض الثاني.

3 ـ في حين لم يتحقق الفرض الثالث للدراسة وذلك لعدم وجود فروق دالة احصائيا بين أطفال الملاجىء سواء التحقوا بها في سن مبركة أو في سن متأخرة في ما يتعلق بنموهم اللغوي.

ولقد تم تفسير النتائج في ضوء ما جاء من الدراسات السابقة وكذلك بعدد من أساليب التحليل الاحصائي التي خضعت لها الدرجات الخام، وتمثلت في حساب اختبار "ت" (T terts) وحساب نسجه "ف" عن طريق تحليل التباين (variance Analysis) .

المراجع :

أولا : المراجع العربية:

1 ـ السيد دسوقي السيد عبد الله ـ 1985 ـ المستوى التعليمي للأم وعلاقته بالنمو اللفظي.

2 ـ ألفت محمد حقه ـ 1986 ـ مناهج البحث في علم النفس ـ دار الفكر الجامعي ـ الاسكندرية. مصر.

3 ـ 1986 ـ سيكولوجية النمو. دار الفكر الجامعي الاسكندرية.

4 ـ جمال شفيق احمد ـ 1986 ـ سمات شخصية المودعين ببعض المؤسسات الايواء. دراسة ميدانية ـ ماجستير غير منشورة ـ كلية البنات ـ جامعة عين شمس ـ مصر.

5 ـ جون كونجر وآخرون ـ 1970 ـ ت احمد عبد العزيز سلامة وجابر عبد الحميد. سيكولوجية الطفولة والشخصية ـ دار النهضة العربية القاهرة.

6 ـ حنفي بن عيسى ـ 1980 ـ محاضرات في علم النفس اللغوي ـ ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر.

7 ـ صالح الشماع ـ 1962 ـ ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة. دار المعارف. القاهرة.

8 ـ صبحي عبد الغفار ـ 1976 ـ المواليد غير الشرعيين ـ دراسة للمواليد غير الشرعيين رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات ، جامعة عين شمس ـ القاهرة.

9 ـ عباس محمود عوض ـ 1985 ـ في علم النفس الاجتماعي. دار المعرفة الجامعية الاسكندرية . مصر.

10 ـ فواد البهي السيد ـ 1979 ـ علم النفس الاحصائي وقياس العقل البشري ط3. دار الفكر العربي القاهرة.

ثانيا: المراجع الاجنبية:

11 - Berthe . R.R, 1980, Le developpement social de l'enfant et de l'adolessent ED: Pierre maryada. Bruxelle.

12 - Boucebci M. 1978, Psychologie, societé et developpement ED: SIVED. Algerie.

13 - Brot M. 1967, L'enfant et les relatons familiales ED: F.U.F France.

14 - Cherry, L, 1975, The preschool Teacher in child Dayed sex differences verbal interaction, child development .
D.A.I 46, 532 - 535 .

15 - Ebert D.W, 1975, Dral Langage sex and socio-economic status as pretictory of reading achievement D.A.I. 35, 8 - A, 4979.

16 - Hass. A.N, 1978, Production of sex associated features of spokin longage by four-Eight and Twelve year old , Boys and Girls, D.A.I. 39, 1 A. 23 .

17 - Irwin D.C. 1948, Infant speech, the effect of family occupatinonal status and of age on use of sound types journal speech hearning discorders, 13. 224 - 226 .